دراسات الأدب المعاصر، السنة التاسعة، شتاء ۱۳۹۶، العدد السادس والثلاثون: صص **۱۲۹- ۱۴۴**

بلاغة التقابل فی أشعار أحمد مطر السیاسیة

علی باقر طاهری نیا*
حسین الیاسی**

تاریخ الوصول: ۹۶/۳/۲۵
تاریخ القبول: ۹۶/۶/۳۰

الملخّص

أحمد حسن مطر(۱۹۵۶م)، شاعر عراقی وثیق الصلة بالقضایا الدینیة والاجتماعیة والسیاسیة حیث لا یمکن فطام شعره عن واقع العراقی السیاسی والإجتماعی، فأصبح الشاعر ینطق بلسان حال الأمة کلّها والإنسانیة بأسرها مستخدماً مختلف الأسالیب البلاغیة فی بنیة شعرها الذی یلتفُّ بالکثیر من القضایا الانسانیة، ومن ضمنها أسلوب التقابل الّذی یعتبر جزءً من علم البدیع الّذی یعنی بطلاء المبنی وزخرفته، فهو أنْ یؤتی فی الکلام بمعنیین أو أکثر ثمّ یؤتی بما یقابل ذلک علی الترتیب. إنّ التقابل کیفیة لغویة فی شعر أحمد مطر یعتمد علیه الشاعر فی قصائده وللتقابل إلی جانب دوره فی اثراء جانب المعنی یصبُّ فی انسجام النص الشعری ومن ثمّ لیس التقابل تلاعباً بالالفاظ قدر ما هو محاولة لاثراء النص إلی جانب شعرنة التشکیل الشعری وذا هو سرُّ لجوء الشاعر العراقی إلی التقابل فی شعره. والبحث هذا یروم دراسة بلاغة التقابل فی أشعار *أحمد مطر*، مستخدمًا المنهج التوصیفی- التحلیلی حیث یصف أسلوب التقابل نظریاً، ومن ثمّ عرض تحلیلًا لمواضع التقابل وبلاغته فی أشعار *أحمد مطر* المختارة.

الکلمات الدلیلیة: الشعر العربی المعاصر، البلاغة العربیة، علم البدیع، الثنائیة السلبیة والایجابیة.

* استاذ فی قسم اللغة العربیة وآدابها بجامعة طهران. btaheriniya@ut.ac.ir
** طالب الدکتوراه فی فرع اللغة العربیة وآدابها بجامعة طهران. hsn_elyasi@ut.ac.ir
الکاتب المسؤول: علی باقر طاهری نیا

المقدمة

تعرف البلاغـة بأنّهـا إصابة المعنى وحسن الإيجـاز، وتعدّ علماً من علوم اللسان العربى. ومن أسباب نشوء هذا العلم: فطرة العرب وهم نشأوا على تذوق الأسلوب ونقده، حيـث إنّ ملكة النقـد عندهم موفورة، كما أنّ الله عزّ وجل تحدّاهـم بـالقرآن الكـريم الّـذى وقفـوا عنـده عاجزين، كونـه أبلـغ مـن كلامهم، بسببٍ من ذلک دأبـوا يبحثون عن وجوه هـذا الإعجـاز، وفهم أسراره، وإقامـة الأدلـة العلمية عليه، فكانوا أنْ وقفوا على خصائص البلاغـة العربية، فتوسعوا فى بحثها وتدوينها فى مؤلفاتهم.

تأسست البلاغة على علوم ثلاث هى المعـانى والبيـان والبديـع، «فـإذا عنـى علـم المعانى بإقامة الصرح، وعنى البيان بتقديم اللبنات ومواد البنـاء، فـإنّ علـم البـديع يعنـى بطلاء المبنى وزخرفته، فهو علـم طـرق التحسيـن الكلـى»(حسـان، ۲۰۰۰م:۳۴۹). أمّـا أسلوب التقابل وهو جزء من علم البديع يعنى أنْ يؤتى فى الكـلام بمعنيـين أو أكثـر ثـمّ يؤتى بما يقابل ذلک على الترتيب. وقد أكثر الشعراء المعاصرون من التقابل فى التشكيلية الشعرية والتقابل خاصية شعرية يكتنز قدراً كبيراً من الإشـاعة والإيحـاء ولـه التمظهـرات الواسعة والفضفاضة فى شعر الشاعر العراقى أحمد مطر وقد أكثر منه الشـاعر لمـا يكتنـزه من الطاقات التعبيرية وللدورالهام الذى يضطلع به التقابل فى النص الشـعرى؛ فـإذا كانـت ابداعية النص الشعرى ومدى نجاح الشاعر تقيّم بين حدىّ البلاغة والقدرة فى التعبير فـإن للتقابل دوره المهم فى التوصل إلى الابداعية والنجاح فى التعبير ومن هنا أكثر الشاعر فى بيئاته التشكيلية من التقابل.انعقد هذا البحث معتمداً علـى المـنهج الوصـفى ـ التحليلـى لدراسة خاصية التقابل فى اشعار *أحمد مطر* بوصفه من أهم التقنيات التعبيرية التى يهتم به الشاعر فى خطاباته الشعرية برمّتها.

خلفية البحث

هناک دراسات تناولت التقابل فى النصوص المختلفة، منها «أسلوب التقابل فـى الربـع الأخير من القرآن الكريم» *لعمارى عزالدين*(۲۰۱۰م)، و«بلاغة التقابل فى روايات عزالدين جلاوجى» *لنور السادات جودى*(۲۰۱۴م)، أمّا شعر *أحمد مطـر* فإسـتأثر باهتمـام الكتـاب والدارسين وكتبت عنها مقالات كثيرة نخصّ بعضها بالـذكر: «أسـلوب شـعر أحمـد مطـر

السیاسی»*شاکر عامری*(۲۰۱۵م) المطبوعة فی مجلة دراسات فی اللغة العربیة وآدابها ودرس فیها الکاتب أسلوب الشاعر القصصی، والسخریة، وبعض الأسالیب البلاغیة. و مقالة «روابط بینامتنی در اشعار أحمد مطر» من *الدکتور فرامرز میرزایی*(۱۳۸۸ش) والمقالة مطبوعة فی مجلة «نثر پژوهی» وتطرق الکاتب إلی أشکال التناص فی شعر *أحمد مطر* ومقالة «رسالت طنز در اشعار میرزازاده عشقی و أحمد مطر» من *جواد سعدون‌زاده* (۱۳۸۸ش) وهی مطبوعة فی فصلیة «زبان و ادبیات عربی» بجامعة الفردوسی ودرس فیها الکاتب جمالیات السخریة فی شعر الشاعر ومقالة «مهم‌ترین عناصر معنایی در شعر أحمد مطر» وکتبها *الدکتور حامد صدقی*(۱۳۸۴ش) والمقالة مطبوعة فی مجلة الجمعیّة الإیرانیة للغة العربیة وآدابها وحسب بحثنا فی الدراسات السابقة یلاحظ موضوع هذه الدراسة لم یکن محور أیة من الدراسات المسبقة عن أشعار *أحمد مطر*. إذن یحاول البحث دراسة أسلوب التقابل فی أشعار *أحمد مطر* لتبیین أوجه الجمال الّتی یضفیها التقابل علی تلک الأشعار المختارة. یکمن أهمیة هذا البحث فی دراسة أسلوب مهم وهو التقابل فی شعر أشهر شعراء العرب المعاصرین وهو *أحمد مطر* والسبب فی اختیار هذا الموضوع یعود إلی حضور ظاهرة التقابل باعتبارها ظاهرة فنیة ملفتة للنظر فی أشعار *أحمد مطر*، بالإضافة إلی أثرها فی دلالة قصائد الشاعر، ووقع أثرها فی المتلقی.

أسئلة البحث

والسؤال المطروح فی هذا البحث هو: ما مدی تأثیر أسلوب التقابل فی جمالیة أشعار *أحمد مطر* السیاسیة؟

علم البدیع

إنّ مصطلح البدیع فی المعاجم العربیة جاء تحت مادة (ب.د.ع) تدور حول الجدة والحداثة؛ ففی لسان العرب: «بدع الشیء یبدعه بدعاً: أنشأه وبدأه، وبدع الرکیة استنبطها بدیع حدیثة الحفر. والبدیع والبدع: الشیء الّذی یکون أوّلا. وفی القرآن الکریم: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾(الأحقاف/ ۹) أی ما کنت أوّل من أرسل، قد أرسل قبلی رسل کثیر.

والبديع: المحدث العجيب، والبديع: المبدع وأبدعت الشيء اخترعته لا على مثال»(ابن منظور، ۱۹۹۸م: ۶-۸).

أمّا عن الدلالة الاصطلاحية للبديع عند البلاغيين فله أكثر من تعريف، وإنْ اختلفت لفظًا فإنّها متفقة معنى، ويمكن أنْ نقتصر منها فى ذلک على تعريف واحد، فعلم البديع: «هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة على مقتضى الحال ووضوح الدلالة»(القزوينى،۲۰۰۲م: ۱۹۰). ولقد أشار *الجاحظ* للبديع فى كتابه «البيان والتبيين» حينما تكلّم عن بعض الشعراء الّذين اشتهروا فى عصره، يقول: «والبديع مقصور العرب ومن أجله فاقت لغتهم، كلّ لغة وأربت على كلّ لسان، *والراعى* كثير البديع فى شعره، *وبشار* حسن البديع *والعتابى* يذهب شعره فى البديع»(جاحظ،۲۰۰۱م:۶۲۰). ولقد كان لعلم البديع أهمية كبيرة عند البلاغيين، يبرهن على ذلک كثرة الدارسين له على مرّ العصور، فلا يكاد يخلو مؤلف واحد من مؤلفاتهم إلّا وهو يعرض له إمّا بالكلام المستفيض، أو بالإشارة إلى بعض جوانبه، ويمكن أنْ نتبين ذلک من خلال تتبع دلالة لفظة "البديع" عند بعض أصحاب هذه المؤلفات.

وعلم البديع له قسمان: قسم يرجع التحسين فيه إلى اللفظ، وهو ما يسمّى "بالمحسنات اللفظية"، وقسم يرجع التحسين فيه إلى المعنى وهو ما يسمّى "بالمحسنات المعنوية"، ولقد تمكّن البلاغيون من حصر أنواع كلّ قسم من القسمين مع تناولها بالتعريف والتمثيل لها بالشواهد المختلفة.

أمّا المحسنات المعنوية، فهى المطابقة، والمقابلة، والمشاكلة، ومراعاة النظير، والمزاوجة، واللف والنشر، والجمع، والتفريق، والتقسيم، والجمع مع التفريق، والجمع مع التقسيم، والجمع مع التفريق والتقسيم، والإيهام، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، والتوجيه، وسوق المعلوم مساق غيره، والاعتراض، والاستتباع، والالتفات، وتقليل اللفظ. والمحسنات اللفظية هى التجنيس، والاشتقاق، ورد العجز على الصدر، والقلب، والسجع والترصيع.

التقابل فى اللغة والاصطلاح

المقابلة فى «لسان العرب» هى «قابل الشيء بالشيء مقابلةً وقبالًا: عارضه، إذا ضممت شيئًا إلى شيء قلت: قابلته به، ومقابلة الكتاب بالكتاب مقابلته به: معارضته،

والمقابلة: المواجهة، والتقابل مثله، وهو قبالک وقبالتک: أی تجاهک»(ابن منظور،۱۹۹۸م: ۵۶- ۵۷). وقال *ابن فارس*: «القاف والباء واللام أصلٌ واحد صحیح، تدلّ کلّها علی مواجهة الشیء للشیء»(ابن فارس، لا تا:۵۱). وقال *الزمخشری*: «لقیته قبلا وقُبلا: مواجهةً وعیانًا»(الزمخشری،۱۹۹۶م:۳۵۰). علی هذا، فإنّ المقابلة فی اللغة تدور علی المواجهة والمعاینة، وقد یکون ذلک بالتضاد أو بالموافقة. وممّا تقدّم عرضه، ومن تتبع معنی کلمة "قابل" فی المعاجم سالفة الذکر یتبین أنّ هذا المعنی لا یخرج فی إطاره العام عن المواجهة.

أمّا فی الاصطلاح فله تعاریف متعددةٌ عند البلاغیین، فقد عرّفها *العسکری* بأنّها: «إیراد الکلام ثمّ مقابلته بمثله فی المعنی واللفظ علی جهة الموافقة أو المخالفة»(العسکری، لا تا: ۳۷۱). وعبّر عنه *الباقلانی*: «المقابلة هی أنْ یوفق بین معانٍ ونظائرها والمضادّ بضدّه»(الباقلانی،۱۹۹۶م: ۶۸). ویقول *الرازی*: «المقابلة هی أنْ تجمع بین شیئین متوافقین بین ضدیهما، ثمّ إذا اشرطتهما بشرط وجب أنْ تشرط ضدّیهما بضدّ ذلک الشرط»(الرازی، ۲۰۰۳م: ۱۵۰). وجاء فی الإیضاح «أنْ یؤتی بمعنیین متوافقین أو معان متوافقة، ثمّ بما یقابلها أو یقابلها علی الترتیب»(القزوینی: ۴۸۵). علی هذا، فإنّ هذه التعریفات تنظر إلی التقابل من جهة الموافقة أو من جهة المخالفة بین شیئین فأکثر، فالمقابلة قد تکون فی المتوافقات أو المتخالفات. والفرق بین الطباق والمقابلة هو ألّا یکون الطباق إلّا بین الأضداد، والمقابلة تکون بین الأضداد وغیر الأضداد. ولا یکون الطباق بین الضدّین فقط، والمقابلة تکون بین أکثر من اثنین.

تعریف بالشاعر

أحمد حسن مطر شاعر عراقی ولد فی عام ۱۹۵۶م، عاش طفولته فی قریته التنومة، ومن ثمّ انتقل إلی محلة الأصمعی علی شط العرب فی صباه. وهو کأطفال العراق عانی الفقر والحرمان، ممّا حال بینه وبین مواصلة الدراسة المنتظمة، فلجأ إلی ما یعوض ذلک من علوم وثقافة لا منهجیة اعتمد فی تحصیلها علی نفسه. وعندما تفتحت مدارکه وتوسعت ثقافته، أصبح لا مناص من مواجهة الواقع الّذی یعیش، ممّا دفع به فی أتون معرکة غیر متکافئة، مع النظام القائم الّذی یری من یقف فی طریقه حجر عثرة، ممّا حوّل

حياة الشاعر تحولًا نوعيًا، حياة سماتها المطاردة والفرار وعدم الاستقرار، ثمّ اللجوء والتنقل من منفى إلى منفى، فاستقرّ فى الكويت يواصل تحديه للواقع المرير، كاشفاً من خلال شعره الغطاء عن المعاناة الّتى تحياها الشعوب، ليس فى بلده فحسب، وإنمّا فى كلّ مكان ينطق أهله بالضاد، فأصبح وثيق الصلة بالقضايا الدينية والإسلامية عامة والقضية الفلسطينية خاصة، فأصبح الشاعر ينطق بلسان حال الأمة كلّها والإنسانية بأسرها (غنيم، ۱۹۹۸م: ۴۱ـ ۵۴).

التقابل فى أشعار أحمد مطر

إنّ الشاعر *أحمد مطر* أفاد من مختلف الأساليب البلاغية فى إيصال رسالته إلى أحرار العالم، ومن ضمن تلك الأساليب للتقابل دور بارز فى جمالية أشعار *أحمد مطر*؛ يلاحظ فى أشعاره التقابلات الايجابية والسلبية المتمثلة فى الحق والباطل؛ الحق فى القصائد المدروسة فقد يتمثّل فى الله سبحانه وتعالى، والقرآن الكريم والشعب؛ أمّا الباطل فهو متمثل فى الحكام، والظالمين والعرب فى العصر الحاضر. ويمكن تقسيم التقابلات المدروسة كما يلى:

۱.التقابل الايجابى- السلبى

يلاحظ فى هذا النوع من التقابل طرفين؛ طرف ايجابى يهتم بالحق ويقف فى جانب الشعب، وطرف سلبى يميل إلى الباطل واقف أمام الشعب؛ مثل هذا التقابل بارز فى قصيدة «ولاة الأرض» الّتى يقابل فيها الشاعر بين الله وهو الخالق وبين الحكّام وهم المخلوق، حيث ينشد قصيدته موبّخا الطغاة والحكّام قائلًا:

هو من يبتدئ الخلق
وهم من يخلقون الخاتمات
هو يعفو عن خطايانا
وهم لا يغفرون الحسنات
هو يعطينا الحياة دون إذلال
وهم، إن فاتنا القتل

یمنون علینا بالوفاة

(مطر،۲۰۱۳م:۴۸)

بدأ الشاعر منذ مطلع القصیدة یقابل بین الله سبحانه وتعالی وبین الّذین یدعون بـأنّهم هم الربّ یدبّرون حیاة الشعب، فیقابل بینهما، ومن خلال هذا التقابل یبـیّن مـدی البـون الشاسع بینهما؛ حیث یقول الله هو الّذی بدأ بخلقة الکون والملوک والطغاة خلقوا خـواتیم حیاة الشعب، والله هو الّذی یغفر الذنوب وخطایا الناس، ولکن الطغاة إنْ نقوم بفعل حسـن لا یغفروننا، الله سبحانه وتعالی هو الّذی یعطـی النـاس الحیـاة مـن دون المنـة والإزدراء، ولکن الطغاة لو لم یستطیعوا أنْ یقتلنا یمنون علینا بالوفاة. فعبر هذا التقابـل أراد الشـاعر أنْ یبیّن واقع الحکّام الّذین یدّعون بأنّهم یریدون الخیر للناس، ولکن فی الواقع یفعلون ما یفعلون بحق الشعب، إذًا الملوک ظلوا واقفون أمام الله سبحانه بأفعالهم وأفکارهم. فالله هو الحق والملوک باطل بما فعلوا فی حـق الشـعب الأبریـاء. وقـد واصـل الشـاعر تقابلـه فـی القصیدة بین الشعب والحکّام قائلًا:

ربنا قال: بأنّ الأرض میراث الـتـقـاة
فاتقینا وعملنا الصالحات
والذین انغمسوا فی الموبقات
سرقوا میراثنا منا
ولم یبقوا لنا منه سوی المعتقلات

(مطر، ۲۰۱۳م:۴)

عاد الشاعر إلی الموضوع الرئیس فی القصیدة وهو میراث الأرض، فقد یـذکّرنا قـول الله سـبحانه فـی القـرآن الکـریم: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾(الأنبیاء/ ۱۰۵) بأنّنا کالشعب المظلوم اتقینا وعملنا أعمال صالحة آملًا بأنْ نـرث الأرض کما وعد الله، لکنّ الأرض أصبحت میراثًا للّذین غرقوا فی المعاصی، ومـا عثرنـا إلّـا علی المعتقلات. فالحق مع الشعب الّذین راحوا علی صـراط الحـق للوصـول إلـی النجـاح؛ ولکن الباطل هو الحکام لأنّهم رغم أعمالهم الشنیعة غصبوا میراث التقـاة الّـذی وعـده الله للصالحین. وفی قصیدته «الدولة» یبرز تقابلًا بین الله سبحانه وتعالی کمعطی الکوثر وبـین الدولة، حیث یقول الشاعر:

قالت خيبر شبران ...
ولا تطلب أكثر
لا تطمع فی وطن أكبر
هذا يكفی
الشرطة فی الشبر الأيمن ..
والمسلخ فی الشبر الأيسر
إنا أعطيناک "المخفر"
فتفرغ لحماس وانحر
إن النحر على أيديک سيغدو أيسر

(مطر،۲۰۱۳م:۶۶)

وشتّان ما بين الصورة فی "الكوثر" وتلک الّتی فی قصيدة "الدولة"، وشتّان ما بين المقابل لعطاء الله والمقابل لعطاء الدولة. ففی الكوثر صلاة وعبادة وإطعام للناس، وفی "الدولة" منّ وأذی ونظام بوليسی وأنظمة طوارئ ومسالخ فاغرة أفواهها، ومخافر، وقتل وملاحقة للرافضين من الشعب، حيث السلطة أقدر على تنفيذ تلک المهمة بحق حماس وغيرها من الشعب عندما وقف خيبر عاجز عن النحر. فإذا كان المعطی هو ربّ السماوات والأرض فعطائه عظيم لأنّ المعطی عظيم، أمّا إذا كان المعطی كما فی القصيدة هو الدولة فعطائها الصغير؛ لأنّ المعطی صغير لا يأتون الناس نقيراً والعطاء هو أصغر من ثقب نملة. وهذا التقابل بارز من خلال تناص الشاعر قسم من سورة الكوثر المباركة، فهو قام بالتقابل بين الله وبين الدولة وكلاهما معطيان، أمّا الله فهو الحق يعطی الخير والبركة والكوثر؛ غير أنّ الدولة هی الباطل تعطی المخفر والذلّ والهوان. وفی قصيدة أخرى باسم «هات العدل» الشاعر دعی الحاكم والحكومة إلى العدل قائلًا:

أمّا الحُكْمُ .. فأمرٌ ثانْ
أمرٌ بالعَدْلِ تُعادِلُهُ
لا بالعِمّةِ والقُفطانْ
توقِنُ أم لا توقِنُ .. لا يَعنينی
مَن يُدرينی

أنَّ لِسانَکَ یلهَـجُ باسمِ اللهِ
وقلبَکَ یرقُصُ للشیطانْ!

(مطر،۲۰۱۳م:۱۶)

لا فرق عند الشاعر أیوقن الحاکم أمْ لا یوقن، ما یهمّه هو أنّ الحاکم بلسانه یلهج باسم الله، وقلبه مأوی للشیطان یرقص فیه؛ إذًا قابل الشاعر بین ما فی لسان الحـاکم ومـا یـدور فی قلبه والنتیجة تشیر إلی وجود البون الشاسع بین ما یعتقد به الحاکم وما یظهر به. وقد استمرّ الشاعر التقابل بقوله:

الایمان الظالم کفر
والکفر العادل إیمان!

(مطر،۲۰۱۳م:۲۲)

قابل الشاعر بین إیمان الظالم والعادل ویقابل بعضهما مع بعض والنتیجة تشیر إلـی أنّ إیمان الظالم هو کفر، أمّا کفر العادل هو إیمان؛ والسبب فی هذا القیاس بیان أهمیة وجود العدالة فی الحکومة، کما قال آنفاً توقن أم لا توقن لا یعنینی، بل المهم هو الإتیان بالعدل بین الشعب. وللتأکید علی فکرته ورسوخها فی بال القارئ یقول:

لا أسأل عن شکل السلطة
أسأل عن عدل السلطان

(مطر،۲۰۱۳م: ۱۶)

فالشاعر فی هذه القصیدة جنّد کلّ ما فی یـده لیشـیر إلـی مـدی أهمیـة العـدل فـی المجتمع. وله قصیدة فی أهمیة حریة التعبیر باسم «قلة الأدب» حیث یقابل فیها ما قالـه القرآن الکریم وما قالته وسائل الإعلان الحکومیة منشدا:

قرأتُ فی القُرآنْ:
"تَبَّتْ یدا أبی لَهَبْ"
فأعلنتْ وسائلُ الإذعانْ:
"إنَّ السکوتَ من ذَهَبْ"

(مطر،۲۰۱۲م: ۱۱)

یقارن الشاعر بین ما یقولـه القـرآن الکـریم فـی حـقّ الطغـاة وهـو ﴿تَبَّتْ یَدا أَبِی لَهَبٍ

وَتَبٌ﴾(المسد /۱) وماتقول فی مقابله وسائل الإعلان بأنّ "السکوت من ذهب". فتحیّر الشاعر والشعب بانّ هل علیهم أنْ یقولوا ما یقول القرآن الکریم، أمْ علیهم السکوت فی مقابل الطغاة! لکنّ الشاعر یعلن بأنّه یحبّ الفقر علی غرار السخریة ولا یحبّ الذهب الصادر عن السکوت أمام الطغاة فیقول:

أحببتُ فَقْری .. لم أزَلْ أتلو
"وَتَبْ
ما أغنی عَنْهُ مالُهُ وما کَسَبْ"

(مطر،۲۰۱۳م: ۱۱)

أمّا نتیجة عدم سکوت الشاعر فقد صودرت حنجرته کما وصودر القرآن الکریم، فیقابل الشاعر بین سبب مصادرة حنجرته وسبب مصادرة القرآن قائلًا:

فصودرت حنجرتی
بجرم قلة الأدب
وصودر القرآن
لأنّه .. حرّضنی علی الشغب

(مطر،۲۰۱۳م: ۲۸)

من یفتح فمه من دون رضی الحکومة فهو قلیل الأدب وفی مقابل هذه الجریمة تصادر رأیه الحکومة وتصادر حنجرته؛ کما صودر القرآن من قبل الحکومة لأنّه بآیاته یهدی الناس ویحرّضهم نحو لمواجهة الظلم. وفی قصیدة أخری مسماة بـ «زمن الحواسم» قابل الشاعر بین أهمیة الشاعر لعرب الأمس وعرب الیوم، ففی وصف عرب الأمس یقول:

عَرَبُ الأمسِ الغَواشِمْ
عِندما یُولَدُ فیهم شاعِرٌ
کانوا یُقیمونَ الولائمْ
وَیُریقونَ دَمَ الأنعامِ
ما بَینَ یَدَیْه
وَیَفِرّونَ مِنَ الذُّلِّ إلَیْه

(مطر،۲۰۱۳: ۲۵۳)

یشیر *أحمد مطر* بقوله إلی منزلة الشعر والشعراء عند العرب القدیم، فقد کانت له مکانة رفیعة خاصة عند الناس. فکان إذا نبغ شاعرٌ تحتفل به قبیلته، وتدقّ له طبول الفرح وتتباهی به عند القبائل الأخری، فنبوغ الشاعر عند القبیلة أعظم درجة من الخطیب المفوَّه، ویکاد یکون أعظم درجة من رئیسها وفارسها؛ ذلک لأنّه یمجّد قبیلته ویرفع من قیمتها عند أعدائها وعند القبائل الأخری ویحطّ من قیمة أعدائها، فهو المنافح والمدافع عنها وهو الّذی یسجّل لها تاریخ مفاخرها وأمجادها ویباهی بمآثرها ویعظّم من شأنها ویهوّل علی أعدائها. فهل بقی الأمر هکذا بالنسبة لتبجیل الشاعر أمْ لا؟!

غَیرَ أنَّ الأمسَ وَلّی
وعلی الأُفْقِ تَجلّی
عَرَبُ الیَومِ (الحواسِمْ)
فإذا هُمْ
عِندما یُولَدُ، بالرِّشوةِ،
فی أکیاسِهِمْ.. صَوتُ الدّراهِمْ
یَذبحونَ الشّاعِرَ الحُرَّ
فِداءً لِلبهائِمْ

(مطر،۲۰۱۳م: ۲۵۲)

فیجیب الشاعر بأنّ الأمس قد ولّی؛ لأنّ العرب الیوم لا یهتمّ بالشاعر، والشاعر لا یمکنه أنْ یعبّر عمّا فی مجتمعه حرّاً، بل السلطة هی الّتی تخطط له الطریق ویأمره بأنْ یقول ماذا، ویسکت عن ماذا. إذًا زمن حریة شاعر مضت وانتهت، فلا مجال لحریة التعبیر فی المجتمع الحالی وذلک بفضل السلطة والإرتشاء.

۲.التقابل السلبی- السلبی

یلاحظ فی هذا النوع من التقابل طرفین؛ وکلاهما یمیلان إلی الباطل واقف أمام الشعب؛ ومثل هذا التقابل بارز فی قصیدة مسماة بـ «سلاطین بلادی» بدأ یقابل بین السلاطین وأعداء بلاده؛ والمعقول أنْ یکونا ضدّان، حیث العدو لا یرید عمران البلد، ولکن

السلطان لابدّ من أنْ يحاول فی تنمية بلده وشعبه؛ لنـرى هـل يكـون الأمـر هكـذا كمـا نتوقعه أمْ لا؟! فاليصف الشاعر حال العدو قائلًا:

الأعادی،
يتسلون بتطويع السكاكين،
وتطبيع الميادين،
وتقطيع بلادی،
وسلاطين بلادی
يتسلون بتضييع الملايين،
وتجويع المساكين،
وتقطيع الأيادی،

(مطر،۲۰۱۳م:۲۶)

يصف الشاعر حال العدو والسلطان فی بلاده، حيث أنّ العدو يقوم بتقطيع بـلاده، وفـی المقابل يتوقع الشاعر أن يقف سلاطين بلاده أمام العـدو، ولكـن يلاحـظ بـأنّ السـلاطين يحاولون تضييع الملايين، وتجويع المساكين، وتقطيع أيادی الشـعب مـن حقـوقهم. هنـا المتلقی يتوقع أنْ يلاحظ التقابل بين العدو والسلطان، لكنّ حـدث تقابلًـا سـلبی- سـلبی بينهما ؛ لأنّ كلاهما يحاولان استثمار البلاد. ويواصل تقابله متعجبًا بالمجتهدين فی بلاده حيث اكتشفوا آية القطع، ولكن رغم وجود الأعداء لم يكتشفوا آيةً واحدةً من آيات الجهاد؛ حيث لا يوجد دافع يدفع الشعب والحكومة نحو الجهاد والحرية:

عجبا، كيف اكتشفتم آية القطع،
ولم تكتشفوا رغم العوادی
آية واحدة من كل آيات الجهاد

(مطر،۲۰۱۳م:۲۰)

وفی قصيدة «بين يدی القدس» يعتذر *أحمد مطـر* القـدس لأنّـه لا يمكنـه أنْ يـدافع عنها قائلًا:

يا قدسُ يا سَيدتی معذرةً فليسَ لی يدانْ
وليسَ لی أسلحةً وليسَ لی ميدانْ

كلُ الذی أملِكه لسانْ
ومن ثمّ یقابل بین ثمن العمر والكلام قائلًا:
والنطقُ یا سیدتی أسعارُه باهظةٌ،
والموتُ بالمجان
سَیدتی أحْرجتنی
فالعُمْرُ سِعر كلمةٍ واحدة ولیس لی عُمرانْ

(مطر،۲۰۱۳م: ۲۲)

فقد قابل *أحمد مطر* بین ثمن عمر الانسان فی مقابل ثمن الكلام؛ قال الشاعر آنفًا لیست لدیّ أسلحة كی أدافع عنک یا قدس، كلّ ما أملكه هو الكلام؛ أمّا الكلام ثمنه باهظ ولكن حیاة الانسان بالمجان، لو أقول كلمة واحدة فی الدفاع عنک یا قدس فلابدّ من أنْ أدفع فی مقابله عمری كلّه، وأنا لیس لی عمران، كی أدفع عمراً للكلمة واحدة وأحتفظ بعمری الثانی لنفسی. رغم ضرورة وجود الحریة فی البلاد ولكن فی بلد الشاعر لم نجد الحریة فلا یستطیع أنْ یدافع عن القدس بكلامه لأنّ سعر الكلام باهض، أنّ حیاة الانسان فلا قیمة لها.

نتیجة البحث

من خلال ما تقدم یمكننا أنْ نوجز أهمّ النتائج الّتی وصل إلیها البحث كما یلی:

لو تأملنا أشعار *أحمد مطر* وأمعنا النظر فیه، لوجدنا كثرة اعتماد الشاعر علی الصور البلاغیة ومن أهمّها هی التقابل بوصفه عنصراً من عناصر الصورة الشعریة فی معظم الموضوعات الّتی عالجها، وعلی الوجه الخصوص فی الشعر السیاسی. فهو بدأ یقابل أحیانًا بین السطة والعدو، وأحیانًا أخری یقابل بین الانسان العربی قدیما وحاضرا لیبیّن مدی البون الشاسع بین طرفی التقابل.

فقد درس نوعین من التقابل فی شعر *أحمد مطر* أكثر تأثیرا علی تشجیع الشعب للدفاع عن الحق والكفاح بالباطل؛ الأول هو التقابل الایجابی- السلبی لاحظناه بین الله وهو الخالق وبین الحكام كالمخلوق، بین الشعب وهم مظلوم وبین السلطة الظالمة، بین ظاهر السلطة وباطنها، بین الحریة فی القرأن الكریم و الحریة فی وسائل الاعلان؛ أمّا

الثانی فهو التقابل السلبی- السلبی بارز عند کلام الشاعر عن السلطان والعدو الخارجی وکلاهما یظلمان بحق الشعب والوطن، وبین قیمة حیاة الانسان وقیمة الکلام فی الحریة. إذًا یمکن القول بأنّ إجراء التقابل أصبح أسلوبا للشاعر حینما یرید أنْ یترسخ کلامه فی ذهن القارئ، وحینما یرید أنْ یؤکّد علی أمرٍ ما کثیرا ما یتعلق بأمور الشعب والحکومة.

وقد أدّی استخدام *أحمد مطر* أسلوب التقابل فی أشعاره إلی إغناء نصه الشعری بشحنات دلالیة ممیزة توضّح المظالم والمصائب فی الدول العربیة الّتی یصیب به الشعب العربی ویعانی منه. برع الشاعر فی اختیار طرفی المقابلة وکثیراً ما یمزج مقابلته بنوع من السخریة والنقد اللاذع وبهذا الأسلوب یهجم علی الحکّام والسلطة والأجهزة العالمیة فی شعره لتدلّ علی مخالفته مع الحکام والسلطات والمستکبرین. وللتقابل فی شعر *أحمد* مطر أثر فی المعنی والأسلوب، فالمعنی یزداد وضوحًا، وقوةً بوضوح الشیء وما یقابله من ضدّ. وکلامه یکتسب جرسا موسیقیا، ونغما جمیلا یؤثّر فی النفس، وینقل الشعور، وبذلک الأسلوب یخاطب الشاعر العقل والعاطفة فی وقتٍ واحد.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

المصادر والمراجع

القرآن الکریم.

إبن فارس، أحمد بن زکریـا. لا تا، **معجـم مقاییس اللغة**، تحقیق عبـد السـلام محمـد هـارون، ج۵، الدار الإسلامیة.

إبن منظور، جمال الدین محمد بن مکرم الأنصاری. ۱۹۹۸م، **لسان العرب**، القاهرة: المؤسسة المصریـة العامة للتألیف والأنباء والنشر.

أحمد قاسم، محمد ودیب، محی الدین. ۲۰۰۳م، **علوم البلاغة**، لبنان: المؤسسة الحدیثة للکتاب.

الباقلانی، أبو بکر محمد بن الطیب. ۱۹۹۶م، **إعجاز القرآن**، تعلیق صلاح بن محمد بن عویضه، بیـروت: دار الکتب العملیة.

تمام، حسان. ۲۰۰۰م، **الأصول دراسة ابسـتیمولوجیة للفکر اللغـوی عنـد العـرب**، القـاهرة: عـالم الکتب.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. ۲۰۰۱م، **البیان والتبیین**، تحقیق درویش جویدی، بیروت: المکتبـة العصریة.

الرازی، محمد بن عمر. ۲۰۰۳م، **نهایة الإیجاز فی درایة الإعجاز**، تحقیق سلیمان حمـوده، القاهره: دار المعرفة الجامعیة.

الزمخـشری، محمود بن عمر. ۱۹۹۶م، **أسـاس البلاغة**، بیروت: مکتبة لبنان ناشرون.

العسکری، الحسن بن عبد الله. لا تا، **الصناعتین**، تحقیق مفید قمحیة، القاهره: دار الکتب العلمیة.

غنیم، کمال. ۱۹۹۸م، **عناصر الإبداع الفنی**، القاهرة: مکتبة مدبولی.

القزوینی، جلال الدین محمّد بن عبدالرحمن بن عمربن أحمد بن محمّد. ۲۰۰۳م، **الإیضاح فی علـوم البلاغة**، بیروت: دار الکتب العلمیة.

مطر، أحمد حسن. ۲۰۱۳م، **الأعمال الشعریة الکاملة**، بیروت: دار کنوز المعرفة للنشر والتوزیع.

Bibliography

Ahmed Kassem, Mohamed, Deeb, Mohieddin, Sciences of rhetoric, Lebanon: Modern Book Foundation, 2003.

Ibn Fares, Ahmed bin Zakaria, Dictionary of Language Standards, Achievement: Abdulsalam Mohamed Haroun, C5, BD, Islamic Dar,

Ibn Manzour, Gamal El Din Mohamed Ben Makram El Ansary, San El Arab, Cairo: The Egyptian General Establishment for Information, Publication and Publication, 1998

Al-Baqlani, Abu Bakr Muhammad ibn al-Tayyeb, Ijaz al-Qur'an, Commentary: Salah bin Mohammed bin Oweida, Beirut

Tammam, Hassan, The Origins of an Epistemological Study of Arab Thought, Cairo: World of Books, 2000.

Al-Jahiz, Abu Othman, Amr ibn Bahr, Al-Bayan and Taibeen, Darwish Juweidi, Beirut: Modern Library, 2001.
Al - Razi, Muhammad Bin Omar, End of Briefness in Knowledge of Miracles, Achieving: Sulaiman Hamouda, Cairo: Dar Al - Maarefah University, 2003.
Zmakhshari, Mahmoud Ben Omar, Asas al-Balagha, Beirut: Lebanon Publishers Library, 1996.
Al-Hassan, Al-Hasan Bin Abdullah, Al-Sna'atin, Achieving: Mufid Qamhiyya, Cairo
Ghoneim, Kamal, Elements of Artistic Creativity, Cairo: Madbouli Library, 1998.
Al-Qazwaini, Jalal al-Din Muhammad bin Abdulrahman bin Ammarben Ahmad bin Mohammed, Explanation in the Sciences of Al-Balajah, Beirut: Dar al-Kuttab al-Alami, 2003.
Matar, Ahmed Hassan, The Complete Poetry Works, Beirut: Knows of Knowledge for Publishing and Distribution, 2013.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی